



وجدت البعثات التبشيرية طريقها الى العراق منذ بداية القرن السابع عشر، واعتمد المبشرون عدة اساليب في عملهم التبشيري مثل فتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمستشفيات والمدارس والكليات والمكتبات وغيرها، الا انهم ركزوا وبشكل ملفت للنظر على المؤسسات التعليمية، لأنها تمكن المبشرين من التغلغل في المجتمعات وغرس افكارهم في اذهان الاطفال وغير المتعلمين، ومن ثم العمل على تنصير المسلمين واليهود.

-الارساليات الفرنسية:

كانت فرنسا في مقدمة الدول الاوربية التي استغلت حاجة الدولة العثمانية لمستلزمات حروبها وفتوحاتها من سلاح وتجهيزات حربية، لتقيم علاقات جيدة معها. وقد استفادت فرنسا بالتحديد من الاموال الطائلة التي جنتها من مبيعات السلاح لهذه الدولة الفتية خلال القرن السادس عشر، ولذلك سعت الى ايجاد طريق تجاري بديل لطريق راس الرجاء الصالح، الذي يعد طويلا نسبيا، ثم استغلت فرنسا العجز الحاصل في مالية الدولة العثمانية جراء ما استنزفته حروبها المتواصلة، فعرضت على الدولة العثمانية بعث النشاط التجاري في عدد من الموانئ والمدن في ولايتها مقابل حصول فرنسا على عدد من المعاهدات مع الدولة العثمانية سميت بـ (الامتيازات= Capitulations) [مرادفة لمعاهدات الاستسلام]، وكان اولها معاهدة السلام والصداقة والتجارة عام ١٥٣٥، التي وقعها السلطان العثماني سليمان القانوني الذي كان بحاجة الى حليف يساعده في الدفاع عن ملكه الذي يهدده ملك اسبانيا شارل الخامس (Charles V) (١٥١٦-١٥٥٦) وغيرها من المعاهدات، الا ان الجديد فيما يتعلق بالتبشير كان توقيع معاهدة عام ١٦٠٤ التي بموجبها أصبح المبشرين الفرنسيين تحت حماية الدولة العثمانية، حيث سمحت لهم بالإقامة والتنقل دون أي مضايقة وعلى ان ينالوا حسن المعاملة والمساعدة اكراما لملك فرنسا هنري الرابع (Henry IV) وتعبيرا عن المودة نحوه. أعقب ذلك عقد اتفاقية جديدة عام ١٧٤٠، التي اكدت حماية فرنسا، وليس الدولة العثمانية، لرجال الدين الفرنسيين المنتشرين على الاراضي العثمانية. وفي ضوء تلك الامتيازات تحقق لفرنسا وجود فاعل في ولايات الدولة العثمانية، ومن بينها ولايات العراق، وقد اهتمت فرنسا كثيرا بموضوع نشر المذهب الكاثوليكي بين مسيحيي العراق، لان ذلك سيمكنها من نشر اللغة والثقافة الفرنسية الامر الذي سيوجد لها شريحة اجتماعية من اهل البلاد تدين لها بالولاء الطائفي والديني والثقافي، وتخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية. وكان الفاتيكان قد اسس لأجل ذلك مجمع نشر الايمان عام ١٦٢٢، هدفه نشر المذهب الكاثوليكي في العراق تحديدا، حيث انطلقت منه عدة ارساليات تبشيرية تحمل اسماء مختلفة وهي الاوغسطينيون، والكبوشيون، والكرمليون، والدومنيكا.

لم يكن عمل الارساليات التبشيرية المسيحية على العموم سهلا، لاسيما في بداياته وذلك بسبب حالات الرفض والتقاطع في الافكار والمفاهيم بين حملة الافكار الدينية الجديدة وبين المواطنين المسيحيين من اتباع المذهب الارثوذكسي الذين يمثلون قيم الكنيسة الشرقية.

أولا: النشاط التبشيري في ولاية البصرة: كانت ولاية البصرة اولى مناطق العراق التي شهدت بدايات النشاطات الفرنسية، وكان ذلك على يد المبشرين الفرنسيين من الاباء الكرمليين (Carmelite Fathers) الذين وفدوا اليها عام ١٦٢٣. وقد حضى الرهبان الفرنسيين باحترام ولاية البصرة. من أبرز نشاطات الارسالية:

١- تقديم الخدمات الطبية.

كان مجمع نشر الايمان يعتمد ارسال مبشرين يمتحنون الطب الى جانب واجباتهم الدينية لتكون وسيلة للتقرب من الاهالي، وذلك لانعدام هكذا خدمات في بداية حقبة الحكم العثماني لعموم العراق.

٢- ممارسة النشاط التجاري:

اوكل الى الرهبان الفرنسيين في البصرة واجبات متابعة امور التجارة.

٣- إدارة القنصلية الفرنسية:

تولى المبشرين ايضاً ادارة أمور القنصلية الفرنسية في البصرة في بداية عملها بحكم معرفتهم الجيدة باللغة الفرنسية.

٤- تقديم الخدمات التعليمية:

فان نشاطات لأباء الكرمليين في مجال التربية والتعليم كانت تقريبا مفقودة طيلة فترة عملهم في البصرة، ولم يظهر هكذا نشاط الا مع بداية القرن العشرين حيث اسسوا في عام ١٩٠٢ اول مدرستين ابتدائيتين في البصرة، وفي مركز مدينة العمارة، وكانت الدراسة فيهما مختلطة، وفي عام ١٩٠٦ اسسوا مدرسة ابتدائية للبنات اشرفت عليها راهبات فرنسيات، وهي مدرسة راهبات التقدم، والثانية عام ١٩٠٧ وهي مدرسة اللاتين للبنات.

ثانياً: النشاط التبشيري في ولاية بغداد: اما في ولاية بغداد فقد شهدت قدوم اولى الارساليات التبشيرية الكاثوليكية عام ١٦٢٢، وكانوا من الآباء الكبوشيون (The Capuchin friars)، وكانوا جميعهم من أصل ايطالي، واستمر تواجدهم الى عام ١٧٠٨، ومن نشاطاتهم:

١- بناء دير وكنيسة عام ١٦٢٨ الحقت بها مدرسة ابتدائية لأبناء طائفتي السريان والارمن الكاثوليك.

٢- مارس الآباء الكبوشيون الطب وقدموا خدمات طبية للسكان.

وقد مهد الآباء الكبوشيون الطريق لإرساليات الآباء الكرمليين الفرنسيين في بغداد إذ قدموا الى هذه الولايات بعد انتهاء عمل الآباء الكبوشيون في عام ١٧٢٨. ومن نشاطاتهم:

١- فتح مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٧٣٧.

٢- أصبح أحدهم فيما بعد اول قنصل فرنسي في بغداد عام ١٧٤٢-١٧٧٣.

كما نشطت لإرسالية الكرملية في:

١- فتح مدرسة للبنات في بغداد عام ١٨٨١ سميت المدرسة المركزية، اشرفت عليها مجموعة من راهبات التقدمة الدومنيكان.

٢- كما قام الآباء الكرمليين بتوسيع عمل ونشاطات المدرسة الخاصة بالأولاد والتي سبق وان تأسست عام ١٧٣٧. وكانت تدرس فيها اللغة العربية وآدابها، فضلا عن اللغة الفرنسية، والادب، والعلوم طبقاً لمناهج المدارس الفرنسية.

٣- فتح الآباء الكرمليين مدرسة ثانوية في بغداد وفي عام ١٩٠٥ افتتح وكان يدرس فيها خمسة مبشرين فرنسيين.

٤- اسس الإباء الكرمليين ديراً جديداً في عام ١٨٨٨، التحق به عدد من طلاب علم اللاهوت والدراسات الدينية، من أشهرهم الأب انستاس الكرملي.

ثالثاً: **النشاط التبشيري في ولاية الموصل:** أما في الموصل فإن أول تواجد للإباء الكرمليين الكاثوليك كان منذ بدايات القرن الثامن عشر، ولم يكن بينهم أي راهب فرنسي الاصل، وقد اضطروا الى غلق ارسالياتهم في مدينة الموصل عام ١٧٢٤ بضغط من الكنائس الأرثوذكسية. وقد استقر بعد ذلك الإباء **الدومنيكان (The Dominican Order)** منذ عام ١٧٥٠، وكانت ارسالياتهم تضم اثنين من الالباء من أصل ايطالي، وكانا يقدمان الخدمات الطبية فضلاً عن عملهم الكنسي. وقد استمر عمل الالباء الدومنيكان من الايطاليين الى عام ١٨٥٦ اذ تم استبدالهم بآخرين فرنسيين. ومن نشاطاتهم:

١- فتح مدرسة الالباء الدومنيكان الابتدائية المختلطة في مدينة الموصل عام ١٨٥٤.

٢- وفي العام نفسه شيد الالباء الدومنيكان مدرستين في ضواحي الموصل، فضلاً عن اثنتين في كركوك.

٣- وفي عام ١٨٧٣ تم افتتاح مدرسة اخوات المحبة في الموصل، التي اخذت على عاتقها تعليم وتدريب البنات المسيحيات والمسلمات على فنون الخياطة والتطريز.

٤- وفي مجال الطباعة اسس الدومنيكان عام ١٨٥٨ مطبعة حجرية باسم مطبعة الدومنيكان.

٥- كما أسهم الالباء الدومنيكان في اصدار اول مجلة في العراق هي مجلة اكليل الورد عام ١٩٠٢. كما أسهموا كذلك في ادخال الات التصوير الفوتوغرافي والآلات الموسيقية الغربية لأول مرة الى مدينة الموصل.

-الارساليات التبشيرية الامريكية:

لقد بدأ التبشير الامريكي في الدولة العثمانية للمرة الاولى بشكل شعبي من خلال اجتماع طلاب في كلية وليامز (Williams College) في ولاية ماساشوستس في عام ١٨٠٦، لتأسيس **مجلس المندوبين الامريكان للبعثات التبشيرية الخارجية (The American Board of Commissioners for Foreign Missions)** بجهود جماعة من الكنيسة البروتستانتية المشيخية المستقلة (Independent Presbyterian Church) في بوسطن عام ١٨١٠. وياشر المجلس اعماله التبشيرية في الدولة العثمانية بأن أرسل في عام ١٨١٨ مبشرين امريكيين اثنين فقط لتنفيذ اعمال تبشيرية في الدولة العثمانية تمهيدا لفتح محطات تبشيرية ثابتة، تلك المحطات التي تأخر فتحها الى عام ١٨٢٠ حين قدم الى ازمير مبشران امريكيان استهل المبشرون الامريكان عملهم التبشيري في العراق في ولاية الموصل في البداية واقاما فيها محطة تبشيرية امريكية. ثم اتسع نشاط المبشرين الامريكان في الدولة العثمانية. ومن نشاطاتهم في الموصل:

١- تأسيس الارسالية ١٨٤١.

٢- تأسيس مدرسة الارسالية لليعاقة في الموصل ١٨٤٢.

ونتيجة لكثرة الوفيات في صفوف مبشري الارسالية نتيجة تفشي الامراض والابوثة في الموصل قررت الاخيرة تعليق عملها وغادرا الموصل عام ١٨٦٤. ونتيجة لعدم جدوى المحطة قرر المجلس التخلي عن الموصل عام ١٨٩١ للمجلس المشيخي. ثم تخلت الكنيسة المشيخية عن الموصل عام ١٨٩٨، واصبحت الموصل بعهدة الارسالية العربية التركية، الا ان هذه الارسالية لم تبدأ عملها في الموصل الا في عام

١٩٠٠، عندما فتحت مدرستان واحدة للبنين، واخرى للبنات، كما انشأت مكتبة لبيع الكتب الدينية، واستقدمت معلمين من ماردين لخدمة الكنيسة والمدارس.

كانت اخر البعثات التبشيرية الامريكية هي الارسالية العربية ١٨٩١ عندما تأسيس أول محطة للإرسالية في البصرة، والتي اصبحت لسنوات عدة مراكز وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربي. لم يلبث ان اصطدم اعضاء الارسالية بالسلطات العثمانية التي كانت واعية لما يقوم به المبشرون الامريكان، فمنعت منتسبي الارسالية من القيام بجولات تبشيرية، وأمرت بغلق المكتبة، ومصادرة الكتب ووضع مسكن الارسالية تحت رقابة الشرطة. رغم ذلك تمكن اعضاء الارسالية من فتح محطة في مدينتي العمارة عام ١٨٩٥، والناصرية ١٨٩٧، ثم تم توحيدهما في محطة واحد عام ١٩١٠. ويبدو ان اعضاء الارسالية وصلوا البصرة في الوقت الذي تحول فيه تسامح واهمال الحكومة العثمانية لمشروع الارسالية الى معارضة، لذا كان عليهم بذل كل الجهد لتثبيت اقدامهم اولا وقبل كل شيء، فقرروا توجيه الاهتمام ليس بالجانب التبشيري الديني فقط، بل الاهتمام بالميدان الطبي والتعليمي. فقد انشأوا مدرسة صغيرة عام ١٩٠٥ ولكن السلطات العثمانية اغلقتها بعد مدة قصيرة، لعدم وجود ترخيص مسبق بها.

لقد واجه العمل التبشيري صعوبات ادت الى فشل الامريكان في نشر مذهبهم البروتستانتية، منها:

١- مقاومة المسلمين والطوائف المسيحية الأخرى.

٢- مقاومة عنيفة من السلطات العثمانية المحلية.

لقد شعر اعضاء الارسالية بشيء من الطمأنينة بعد نجاح الاتحاديين في الاستيلاء على الحكم عام ١٩٠٨، حيث رفع الحظر على الكثير من الكتب الدينية المطبوعة، وازيلت الكثير من القيود التي فرضت على العمل والسفر، ومن بين ذلك سمحت السلطات العثمانية المحلية بفتح مدرسة للذكور واخرى للإناث في البصرة.